خطبة بعنوان: شرف المؤمن

يوم الجمعة: ٠٩/٠٤/١٤٤١هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون...إنه دأب الصالحين، وعمل الصادقين، وسلوة المؤمنين، وأنس العابدين.

إنه المنحة الإلهية، والعطية الربانية، والنحلة الرحمانية لمن شاء الله من البرية. إنه الغنيمة الكبرى، النعمة الجُلى، والمنزلة العليا. إنه قيام الليل. أمر الله عز وجل به نبيه ﷺ فقال له: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٩]، وخاطبه جل وعلا فقال له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا *أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[المزمل:١-٤]

أيها المسلمون... إن قيام الليل من صفات عباد الله المتقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ* كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٥إلى١٨]

قيام الليل من صفات عباد الله المؤمنين قال عز وجل في ذكر عملهم:﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا*وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[الفرقان: ٦٤-٦٥]

قيام الليل من صفات أهل الجنة. قال تعالى عنهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ*فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة:١٦-١٧]

أيها المسلمون...قيام الليل من أفضل النوافل بعد الفريضة. روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال:((أفضل النافلة بعد الفريضة قيام الليل))، وقيام الليل هو عمل الصالحين، ودأب المؤمنين. روى الترمذي أن النبي ﷺ قال:((عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربةٌ إلى ربكم، وهو مكفرةٌ للسيئات، ومنهاةٌ للإثم))

وقيام الليل من أعمال أهل الجنة روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: ((إن في الجنة غرفًا يُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل، والناس نيام)).

قيام الليل شرف المؤمن، ورفعته في الدنيا، والآخرة.. روى الحاكم في المستدرك أن النبي ﷺ قال: ((أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعمل ما شئت، فإنك مجزيٌ به، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس)).

قيام الليل فرصةٌ لإدراك ساعة الإجابة . روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال:((إن في الليل لساعة لا يو افقها عبدٌ مؤمن يسأل الله شيئًا إلا أعطاه)).

قيام الليل يُدرك به العبد الثلث الأخير من الليل وقت النزول الإلهي. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ينزل الرب تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل فيقول: هل من داعٍ، فأجيبه؟ هل من سائلٍ فأعطيَه؟ هل من مستغفرٍ فأغفرله)).

قيام الليل من لذائذ أهل الآخرة في الدنيا. قال ابن المنكدر: "لم يبقَ من لذائذ أهل الدنيا إلا ثلاث: اللقاء بالإخوان، وصلاة الجماعة، وقيام الليل"، وقال أبو سليمان الداراني: "إن أهل قيام الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا قيام الليل لما أحببت البقاء في الدنيا". قيام الليل يُكسب صاحبه البهجة، والسرور، والنضرة، والحبور، حتى إنه ليُرى في أثر وجهه النور. قيل للحسن البصري رحمه الله: "ما بال المتهجدين في الليل من أحسن الناس وجوهًا؟ "فقال رحمه الله: "خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره".

أيها المسلمون... إن قيام الليل يُرجعنا إلى مسألة التوفيق، والخذلان، والهداية، والإفاضة، والحرمان، فإن من أراد الله عز وجل به خيرًا فإنه يوفقه للخلوة به حتى يطَّرِح بين يديه، ويعرض حاجاته عليه، ويزداد بالله تعالى تعلقًا، وتألُهًا، وتعبدًا، ولا يقيد العبد عن هذه النعمة العظيمة، والمنة الجميلة إلا خطاياه، وذنوبه. قيل للحسن البصري: "ما بالنا لا نقوم الليل؟ قال: "قيدتكم ذنوبكم".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا :﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.